الإرسالية التبشيرية الأمريكية ورواد النهضة الفكرية العربية في بلاد الشام خلال القرن 19م.

أ/الكاملة فرحات/كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / جامعة الشهيد حمة لخضر

ferhat-kamla@univ-eloued.dz

أ .د / أرزقي شويتام/ جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر2

achouitem@hotmail.com

الملخص: مثلت حركة التبشير في بلاد الشام خلال القرن 19م أبرز وسائل التغلغل الغربي داخل الدولة العثمانية بهدف التعجيل بتقسيم تركتها تحت مسمى الرجل المريض، ونخص بالذكر الإرساليات التبشيرية الأمريكية التي باشرت أهدافها عن طريق التعليم وتفعيل حركة الترجمة والنشر، الأمر الذي ساعد على بروز نخبة شامية متنورة خاصة وأن الإرساليات الأمريكية قد اتخذت من اللغة العربية معبرا لها، بالإضافة الى الاستعانة بالشخصيات المتعلمة الفاعلة هناك مما ساعد على سطوع نجم شخصيات البستاني واليازجي والشدياق، وقد أثمر هذا التمازج بتطوير الحركة الفكرية وزيادة الوعي عن طريق النشاط الصحفي والمؤلفات، كما أن التنوير الذي تحقق في الشام امتد وذاع صيته الى دول الجوار خاصة القطر المصري.

الكلمات المفتاحية: الإرساليات، التبشير، النهضة الفكرية، التنوير، الترجمة، التأليف

The abstract

The Christian missions in the Levant are considered as one of the most important western penetration means inside the Ottoman Empire during 19th century, in order to expedite the division of its legacy under the name of the sick man; here in our article we focus on the American missionaries which started realizing their aims through education, translation and publishing books using Arabic language as a bridge , and standing on educated personalities like : El- CHIDIAC , El-YAZIGI, who were appeared in the field of knowledge . This

interchange leads to the development of intellectual life and the increase of conscience level by dint of the journalism and the movement of authoring, what is worth mentioning is that enlightenment which had spread in Levant, expanded to the neighboring countries and Egypt .

Key words: Missionaries -Christian missions – translation – enlightenment-authoring-intellectual renaissance.

شهدت بلاد الشام خلال القرن 19م تنافس القوى الاستعمارية الأوربية في اطار تقسيم تركة الرجل المريض، ومنه بدأت تعد العدة قصد السيطرة عليها وذلك باستغلال عدة وسائل كان من أبرزها وأكثرها تأثيرا على المنطقة عمليات التبشير التي اجتاحت بلاد الشام ومن أبرزها الإرساليات التبشيرية الأمريكية، وقد اعتمدت هذه الأخيرة عدة وسائل قصد نشر مذهبها والتغلغل داخل المجتمع الشامي، فكان التعليم إحدى أهم الوسائل التي مكنها من ذلك، حيث اهتمت بتشييد المدارس وترجمة وتأليف الكتب باللغة العربية قصد استغلالها في التعليم، وكان هذا بمساعدة من ابناء الشام. عن هذا التواصل الفكري والثقافي بين المبشرين الأمريكيين والمسيحيين العرب خلق فئة من المتنورين كان لهم دور في بروز نهضة أدبية وفكرية عربية، ومن خلال هذه الدراسة سوف نبرز دور الإرسالية التبشيرية الأمريكية في ظهور نخبة متنورة كانت وراء قيادة النهضة الفكرية العربية خلال القرن 19م.

لقد جاءت الإرساليات التبشيرية مبكرا الى البلدان العربية التابعة للسلطنة العثمانية، ومنذ عام 1830م اتخذ نشاط الجمعيات والإرساليات الأجنبية مسارا جديد ركز على انشاء المدارس واقامة المطابع ونشرها والاهتمام بحركة التأليف والترجمة والنشر، وتكوين الكوادر البشرية خاصة من المسيحيين العرب وانشاء الجمعيات وأخيرا توجت عملها بفتح الجامعات في الربع الأخير من القرن 19م وكل ذلك من أجل كسب

الأنصار في المنطقة، ومن بين تلك الإرساليات التبشيرية صاحبة السبق كما أشرنا الإرسالية التبشيرية الأمريكية والتي وصلت الى بلاد الشام مع بدايات القرن 19م، وقد احرز المبشرون الأمريكيون نجاحا خاصا في هذا المجال، وسبب ذلك أنهم أجازوا استعمال اللغة العربية في ممارسة العبادة وفي المعاهد الدراسية التي افتتحوها لاستقطاب الأهالي في كافة أرجاء الشام[1] .

لقد اهتم المبشرون الأمريكان بالتعليم وخاصة باللغة العربية، فقاموا بتأليف الكتب العربية وكتب مدرسية مختصرة وانكب بعض المبشرين الأمريكيين في بلاد الشام على دراسة وتعلم اللغة العربية حتى تمكنوا منها، ولم تمض سنوات على وجودهم حتى طبعوا الكثير من الكتب بواسطة مطبعتهم التي نقلوها من مالطة[2] الى بيروت عام 1834م، وزودوا مدارسهم بتلك الكتب المطبوعة، ولقد استعان المبشرون الأمريكيون بجهود اثنين من العلماء المحليين من أبناء الشام وهما بطرس البستاني وناصيف اليازجي في ترجمة وتأليف الكتب المدرسية المختصرة في شتى الموضوعات والتي طبعت ووزعت في كافة انحاء الشام، وتوج المبشرين الأمريكيين أعمالهم في ميدان التربية والتعليم بإنشاء الكلية البروتستانتية السورية في بيروت عام 1866م، والتي كان التعليم فيها مقصورا في أول الأمر على بعض الدراسات الثانوية العليا وعلى الطب، أما لغة التدريس في جميع الموضوعات فكانت باللغة العربية، ثم تدرجت مع مرور الزمن واتسع نطاقها حتى أصبحت في مستوى المرحلة الجامعية، ومن مآثرها أنه تخرج منها العديد من ابناء الشام العرب وكان لها الأثر الكبير في ظهور النهضة الفكرية العربية[3].

ومنه فقد ارتبطت النهضة العربية في بلاد الشام في أساسها بالإرسالية التبشيرية الأمريكية، حيث ساهمت في تخرج أجيال من المرتبطين بها فكريا، والذين نشأوا على أيديها وقاموا بالتأليف في كافة المجالات وإنشاء الصحف وتأسيس الجمعيات، وهو ما ساعد على بداية النهضة في المدن الشامية، وبداية حركة التحديث الفكري خاصة من طرف المسيحيين من ابناء الشام[4].

والملاحظ أن النهضة الثقافية العربية كان أغلب أفرادها من المسيحيين الشوام الذين تلقوا علومهم في المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات التبشيرية وخاصة الأمريكية ونذكر منهم على سبيل المثال ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وفارس نمر ويعقوب صروف وغيرهم من المسيحيين الشوام الذين ارتبط تاريخهم بالإرسالية التبشيرية الأمريكية في بلاد الشام خلال القرن 19م[5]، اذ شجعت هذه الاخيرة على الاهتمام بالتراث العربي في الأدب، وبذلك ساعدت على وضع أسس النهضة الثقافية العربية، عن طريق الحركة التعليمية التي قامت بدور كبير في إحلال اللغة العربية محل الصدارة، كما عملت الإرساليات على استثمار جهود بعض العلماء فعهدت إليهم تأليف الكتب في شتى الموضوعات، ثم قامت بطباعتها وتوزيعها في كافة أرجاء بلاد الشام[6]، وهذا ما أدى الى نهضة فكرية ثم تلتها نهضة سياسية تجسدت في ظهور فكرة القومية العربية.

هذا، ويعد ناصيف اليازجي من أبرز رواد النهضة الثقافية العربية في بلاد الشام، وهو ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبناني المولد الحمصي الأصل، ولد 25 مارس 1800م في قرية كفر شيما من قرى الساحل اللبناني الذي هاجر إليه أجداده أواخر القرن 17م، تلقى تعليمه الأول على يد راهب من بيت شباب يدعى القس متّى، واشتهر والده بممارسة مهنة الطب، والى جانب ذلك كان أديبا وشاعرا، فنشأ ابنه ناصيف ميالا الى الشعر متأثرا بوالده، فأقبل على القراءة والمطالعة بنفسه، حتى تفقه في شتى العلوم الأدبية وكتب فيها، وبعد سنة 1840م انتقل الى بيروت وأقام فيها حيث اعتكف فيها على المطالعة والتأليف والتدريس في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ثم المدرسة الوطنية التي أسسها البستاني، وكذلك المدرسة الكلية التابعة للمبشرين الأمريكيين، وذاع صيته في البلاد العربية عندها راسله أكابر الشعراء من العراق ومصر وغيرهما، وفي عام 1869م أصيب بمرض العضال وتوفى اثر سكتة دماغية في 8 فيفري 1871م في بيروت[7].

ويعتبر ناصيف اليازجي من أوائل المتنورين العرب في بلاد الشام خلال القرن 19م فكان من المتحمسين لإحياء اللغة العربية والأدب العربي، بل وطالب كل انسان عربي مهما كان دينه أن يعمل من أجل تراث ثقافي مشترك للعرب، ولقد ساهم مساهمة فعالة في بعث اللغة العربية التي أصبحت فيما بعد وسيلة من وسائل النهضة العربية خلال القرن 19م[8].

وساعد اليازجي المرسلين الأمريكيين في بيروت على ترجمة الكتاب المقدس ونظم لهم المزامير وبعض الأغاني الدينية[9]، كما طلبوا منه المساعدة على اصدار كتب في علوم اللغة العربية، وكانت الغاية من الكتب التي ألفها اليازجي هو أن تستعمل في المدارس ولا سيما مدارس الإرسالية التبشيرية الأمريكية، وبعدها اتسع مجال استعمالها وانتشرت بين المدرسين والطلاب، وظلت زمنا طويلا حتى بعد وفاته توجه تدريس اللغة العربية[10]، كما برز اليازجي في مجال تأليف الكتب المدرسية والأدبية ومن اشهر مؤلفاته كتاب" فصل الخطاب في أصول لغة الاعراب" الذي صدر في مالطة عام 1836م[11]وهو من أفضل المتون في الصرف والنحو، وكتاب" الجوهر الفرد في موجز الصرف"، وكتاب "طوق الحمامة في مبادئ النحو"، وكتاب" مجموع الأدب في فنون العرب" ومعجم سماه" جمع الشتات في الأسماء والصفات"، ومن اشهر تأليفه مقاماته المعروفة باسم" مجمع البحرين" التي عارض فيها مقامات الحريري، ونشرت في بيروت عام 1856م، وله العديد من الأراجيز منها أرجوزة" الباب في أصول الإعراب" في النحو، وأرجوزة "الحجر الكريم في الطب القديم" نشرت في مجلة الطبيب[12]وغيرها، وله العديد من الدواوين الشعرية ويسمى أقدمها" النبذة الأولى" والثاني" نفحة الريحان" وآخرها" ثالث القمرين"[13]، وكان اليازجي يصحح مطبوعات المطبعة المخلصية في بيروت، ويعد من أهم المؤسسين للجمعية العلمية السورية عام 1857م، وكان دأبه العمل على إحياء التراث القديم وإبراز محاسنه ودعوة العرب عامة واللبنانيين خاصة الى التعمق في هذا التراث باعتباره القاسم المشترك الذي يلتقي عنده جميع العرب على اختلاف أقطارهم ومشاربهم[14].

وإلى جانب اليازجي نجد أيضا بطرس البستاني وهو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ بن أبي محفوظ البستاني، ولد في نوفمبر 1819م في الدبية في لبنان، وكانت بداية تعليمه في مدرسة عين ورقة الدينية[15] التي تعلم فيها عدة لغات، وانتقل الى بيروت حيث تعرف على المبشر ايلي سميث رئيس الإرسالية التبشيرية الأمريكية البروتستانتية، ومن شدة اعجابه بمذهبهم ترك عقيدته المارونية واعتنق مذهبهم، ولقد عينه المرسلين الأمريكيين أستاذا في مدرستهم بعبيه في لبنان عام 1846م، أين تعلم اللغة الإنجليزية وبعد سنتين عين مترجما لقنصلية أمريكا في بيروت، ثم اتخذه المرسلون الأمريكيون مساعدا لهم في إدارة شؤون مطبعتهم، ولقد ساعدهم على ترجمة التوراة من العبرانية الى اللغة العربية[16]، وفي السنوات الأولى من تعاونه مع المبشرين الأمريكيين كان يعلم في كلياتهم ويؤلف كتبا مختصرة لتستعمل في المدارس التابعة لهم، وكان يلقي المحاضرات والمواعظ في الجمعية الأدبية التي حث الأمريكيين على انشائها عام 1847م، كما كان يكتب لتلك الجمعية النشرات[17].

ويعد البستاني أحد رواد الفكر العربي المعاصر بل اعتبره المعجبون به أبا التنوير العربي، ولقد افنى حياته في البحث والتأليف[18]، ولكثرة انجازاته العلمية لقب "بالمعلم"[19]، إذ كان البستاني من المتنورين الذين يفتخرون بالحضارة العربية ويؤمنون بعروبة جميع الناطقين باللغة العربية مسلمين كانوا أو مسيحيين ويقول في ذلك الشأن:« ألا تشربون كلكم نفس الماء، ألا تتنفسون كلكم نفس الهواء»، ونادى البستاني بالوحدة الوطنية وكتب كثيرا عن أهميتها وأهمية الشعور الوطني وطالب بالمساواة بين الأديان، وتبنى التربية العربية ونادى بالالتزام باللغة العربية، كما دعا الى تعلم العلوم الحديثة واقتباسها عن دول أوروبا ونشرها بين العرب[20].

ومن اشهر مؤلفاته: كتاب" مصباح الطالب في بحث المطالب" وكتاب" مفتاح المصباح" في الصرف والنحو، وفي مجال الرياضيات اقتضى انشاء المدارس والمعاهد العالية على الطراز الغربي ترجمة العديد من كتب الرياضيات الحديثة والتأليف بالعربية[21]، فألف

البستاني كتاب" كشف الحجاب في علم الحساب" الذي طبع في المطبعة الأمريكية ببيروت عام 1848م، وكتاب" باكورة سوريا" وكتاب" دائرة المعارف الذي جارى فيه علماء الغرب وعدة كتب اخرى، كما اشتهر في فن الخطابة وأهمها خطاب عنوانه" تعليم النساء" وكان أول من طرق هذا الباب من خطباء المشرق وغيرها، وفي المعاجم وضع مجلدين كبيرين معجما مطولا للغة العربية سماه "محيط المحيط"، ومن شدة اعجاب السلطان العثماني عبد العزيز به كافأه بجائزة مالية ومنحه الوسام المجيدي الثالث، كما نبغ في الترجمة فنقل الى اللسان العربي كتبا عدة منها "سياحة المسيحي"، وفي سنة 1863م انشأ المدرسة الوطنية التي اقبل عليها الطلاب من كل المذاهب وأصبحت من المدارس الكبرى في بيروت[22]، ولقد أسعفه الحظ بتعيين ناصيف اليازجي مدرسا أول للغة العربية فيها كما ذكرنا سابقا[23]، وجعل منهاجها حديثا يعتمد على تعليم العلوم الحديثة وإحياء التراث العربي واللغة العربية، وقال حين إعلانه عن فتح المدرسة أنها ليست لأي جماعة دينية فأبوابها مفتوحة لجميع أبناء الوطن[24].

وفي مجال الصحافة أنشأ منفردا ومتحدا مع نجله البكر سليم البستاني أربع صحف شهيرة وهي:

صحيفة نفير سوريا: انشأها سنة 1860م وأطلق عليها اسم نفير سوريا وذلك بعد الحرب الأهلية في بلاد الشام التي عرفت بفتنة الستين، وهي جريدة صغيرة ذات صفحتين تصدر أسبوعيا، وجعلها في شكل رسائل وطنية تتضمن نصائح مفيدة تنادي بالألفة بين السكان والمحبة والوحدة الوطنية على اختلاف مذاهبهم كالنصارى والمسلمين والدروز ونبذ التعصب الطائفي، وبعد استتباب الأمن في البلاد أوقف البستاني صدورها[25].

ومجلة الجنان: انشأها في غرة شهر جانفي 1870م وهي مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية جعل شعارها "حب الوطن من الايمان"، ولقد افتتحها المعلم بطرس البستاني بيتين شعريين وهما:

إليك صحيفة نشرت حديثا فأغنت بالسماع عن العي

كفردوس حوى ثمرا شهيا لذاك دعوتها باسم الجنان

وذاع صيتها وأصبحت الجنان رائجة في البلاد العربية شرق وغربا لما ناله صاحبها من الشهرة العلمية وكان سليم البستاني ابن المعلم بطرس يحرر أكثر مقالاتها ولا سيما السياسية والتاريخية والروائية منها، واعتمد بطرس البستاني في كتابات مجلة الجنان على اللغة العامية البسيطة لكي يفهما القراء في ذلك العهد الذي كانوا فيه لا يكترثون لمطالعة الصحف المكتوبة بعبارات فصيحة، وبعد وفاة مؤسسها انتقل امتيازها الى أبنائه من بعده الى أن توقفت عن الصدور بعد 17 عاما من العمل[26].

ويضاف الى قائمة الصحف التي أنشأها البستاني جريدة الجنة والجنينة، وخلاصة القول أنه كان من أهم رواد النهضة العلمية الثقافية خلال القرن 19م، ووافته المنية في غرة شهر ماي 1883م عن عمر يناهز أربعة وستون عاما قضاها في التعليم وتأليف وخدمة الوطن[27].

إضافة الى أعلام النهضة نذكر أحمد فارس الشدياق وهو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر بن فهد الشدياق، ولد سنة 1804م في عشقوت بلبنان، من أسرة مسيحية مارونية، ومن عائلته اشتهر أخوه أسعد وأخوه طنوس مؤلف كتاب" أخبار الأعيان في جبل لبنان" وأخيرا ابنه سليم، درس فارس في مدرسة عين ورقة الدينية في بداية تعليمه[28]، وتلقى اللغة العربية على يد أخيه أسعد الذي اعتنق مذهب المبشرين الأمريكيين البروتستانت فأضطهده أهله وكهنتهم حتى مات قهرا في سجنه، عندها غضب فارس وغادر الى القطر المصري[29]، وكتب هناك في جريدة الوقائع المصرية وانكب على دراسة اللغة العربية حتى أتقنها وأصبح من كبار علمائها في زمانه، ثم دعاه المرسلين الأمريكيين سنة 1834م الى جزيرة مالطة وعهدوا إلية إدارة مطبعتهم وتصحيح مطبوعاتها، فأقام عندهم مدة 14 سنة وعمل مدرس في مدارسهم، وخلالها ترك مذهبة واعتنق المذهب البروتستانتي الذي يتبعه المرسلين الأمريكيين، وطبع هناك عدة كتب من

تأليفه ومنها:" الواسطة في معرفة مالطة" ثم كتاب" اللفيف في كل معنى طريف" ثم " الباكورة الشهية في نحو اللغة الإنجليزية" وأخيرا "المحاورة الأنسية في اللغتين العربية والإنجليزية"، وبعدها قام برحلة لمدة 10 سنوات جاب فيها أرجاء أوروبا، وأثناء رحلته قام بترجمة كتاب التوراة وألف كتابين أحدهما بعنوان" كشف المخبا في فنون أوروبا" والأخر بعنوان" الساق على الساق في ما هو الفرياق" طبع في باريس، وبعد ذلك دعاه باي تونس إليه وارسل له سفينة خاصة لتنقله الى تونس، عندها لبى الدعوة وهناك ترك المذهب البروتستانتي واعتنق الدين الإسلامي وأصبح يعرف بالشيخ "أحمد فارس الشدياق"، وفي عام 1857م استقر في الاستانة عاصمة الدولة العثمانية، وانشأ فيها سنة 1860م جريدة سماها "الجوانب"[30]، وهي اسبوعية سياسية، وكان يطبعها وينشرها في المطبعة السلطانية، وقد أرخ الحاج حسين بيهم صدورها بهذه الأبيات:

إن الجوانب بالأخبار قد شهدت بالسبق في كل ميدان لمعرها

من كل فاكهة زوجين قد جمعت فطاب واردها من طيب مشربها

تجوب دوما جهات الأرض جالبة أخبار مشرقها أرخ لمغربها.

كما انشأ احمد فارس الشدياق مطبعة خاصة بها وجهزها بكل أدوات فن الطباعة حتى أصبحت من أشهر مطابع الدولة العثمانية، ولقد ساهت هذه المطبعة في انتشار جريدة الجوانب في الشرق والغرب وصارت من أشهر الجرائد في ذلك العهد، فكان يقرأها سلاطين العرب وملوكهم وأمراءهم وعلمائهم في تركيا ومصر ومراكش والجزائر وتونس وزنجبار وجاوا والهند وغيرها، وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاقها لبث فكرة الخلافة بين المسلمين المتواجدين خارج حدود الدولة العثمانية آنذاك[31].

وأصبحت جريدة الجوانب من أعظم الصحف العربية في القرن 19م، واستمرت في الصدور حتى عام 1883م[32]، كما كانت الجوانب لا تخلو من المناظرات العلمية والسياسة بين صاحبها وأكبر علماء ذلك العهد كالشيخ ابراهيم اليازجي ابن ناصيف

اليازجي والكونت رشيد الدحداح والمعلم بطرس البستاني وغيرهم[33]، كما ألف فارس الشدياق عدة كتب منها: كتاب" سر الليال في القلب والأبدان" في مجلدين كبيرين ويحتوي هذا الكتاب على توضيح معاني الألفاظ، وكتاب" الجاسوس على القاموس" الذي انتقد فيه قاموس الفيروز ابادي، وكتاب" المرآة في عكس التوراة" وكتاب" لا تأويل في الإنجيل" وكتاب" السند الراوي في النحو الفرنساوي" وله عدة كتب ومؤلفات أخرى[34].

وفي سنة 1885م انتقل الشدياق الى مصر وعندها رحب به الخديوي توفيق الأول ونال شرف المثول عنده والذي أثنى على خدمته الطويلة في سبيل إعلاء شأن اللغة العربية، ثم عاد الى استانبول التي توفى بها في 20 سبتمبر 1887م وهو في السنة الرابعة والثمانين من عمره، ورثته جرائد الشرق والغرب وبعد تسعة أيام شيعت جثته من الاستانة لتنقل الى جبل لبنان مسقط رأسه، وحضر جنازته وزراء السلطنة وسفراء الدول الأجنبية والأمراء والعلماء وأرباب الجرائد وغيرهم، ومما جاء في الجرائد التي رثته ما كتبته جريدة الوطن في القاهرة:« فالجرائد العربية بهديه اهتدت وبمثاله اقتدت ... فكان البحر الزاخر الذي لا أول له ولا أخر، بل كان اية من آيات الله الكبرى في نثره ونظمه وتأليفه وتصانيفه»[35].

وإلى جانب هؤلاء كان هناك رواد للنهضة العربية الفكرية الثقافية انحصر نشاطهم في مجال العمل الصحفي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر الذين كانوا من أهم الكتاب الصحفيين المسيحيين العرب الشوام والمحررين الذين درسوا وتخرجوا من الكلية السورية البروتستانتية التي أسسها المرسلون الأمريكيون في بيروت عام 1866م[36]، اللذين انشأ في غرة شهر جوان 1876م مجلة "المقتطف" في بيروت وهي مجلة علمية صناعية زراعية، وكانت في بداية عهدها تصدر في 24 صفحة ثم اتسع نطاقها حتى بلغ عدد صفحاتها 104 صفحة، وأصبحت من المجلات العربية الراقية انتشارا وشهرة ناهيك عن مواضيعها المتنوعة، ومن كثرة قراءها

واستمرار صدورها حتى أطلق عليها لقب شيخ المجلات العربية لأنها بلغت عمرا طويلا لم تبلغه مجلة في زمانها، فكانت واسطة لنشر المعارف وسبيلا لنقل علوم الغرب الى أهل الشرق، لكن لما اشتدت المراقبة على الصحافة العربية في الدولة العثمانية في أواخر القرن 19م انتقل بها منشئاها الى مصر عام 1884م أين صدر لها هناك الجزء السادس من مجلدها التاسع، كما لقيت ترحيبا كبيرا من علماء مصر، وكانت المقتطف مضمارا تتبارى فيه أقلام كبار العلماء والمؤرخين من كل البلاد العربية[37]، أما السبب الداعي لإنشاء المقتطف كما قال مؤسسها هو شدة احتياج الوطن الى ما يتسهل به الوصول الى العلم والصناعة، وفي عددها الأول إشارة لفضل المدرسة الكلية الأمريكية وأساتذتها على المقتطف، وبالرغم من علاقة المقتطف بالإرسالية الأمريكية في الشام، فأنها لعبت دورا كبيرا في تعريب الموضوعات العلمية وفي التعريف بكل جديد في مجال العلم والمذاهب الفلسفية الجديدة، وأهم ما يميز هذه المجلة هو البحث في النشاط العلمي عند العرب السابقين، وكانت المجلة تنبش عن هذا التراث العلمي وتخرجه في صورة مقالات علمية[38].

وأيضا احتوت المقتطف على مواضيع مختلفة في عدة مجالات لكنها ركزت على العلمية أكثر من غيرها كالعلوم الطبية من خلال تعريفها بالأمراض وأسبابها وسبل علاجها، وكذلك التعريف بمضار العديد من المواد التي يتعاطاها الانسان كالتبغ وتبين أثرها السيء على صحته وغيرها من المواضيع العلمية، وعلى غرار غيرها من المجلات الشامية في مصر أفادت المقتطف النهضة الثقافية والفكرية مما تضمنته صفحاتها من موضوعات شملت مختلف حقول المعرفة، وتمتعت المقتطف بأسلوب لغوي وانشاء صحفي على درجة عالية من الاتزان، فكانت لغتها راقية وبأسلوب بليغ ووضوح تام متجنبة الألفاظ والجمل المعقدة مراعية قواعد اللغة وملتزمة بأصولها وضوابطها من خلال اختيار الألفاظ التي تليق بالفكر والعلم والأدب بعيدا عن الصناعة اللفظية[39].

ويضاف الى قائمة الصحفيين الشوام الذين امتد نشاطهم الى القطر المصري أواخر القرن 19م نجد شاهين مكاريوس الذي شارك أصحاب المقتطف في انشاء جريدة

"المقطم" عام 1889م، وممن هاجروا أيضا من أرباب الصحافة سليم تقلا الذي أسس صحيفة الأهرام سنة 1876م وجرجي زيدان منشئ مجلة "الهلال" عام 1892م وجورج طنوس الذي أسس مجلة "الكوثر" عام 1899م، وكل هؤلاء المهاجرين الى مصر من ابناء الشام من المسيحيين الذين احتكوا بالإرسالية التبشيرية الأمريكية[40].

بالإضافة الى كل أعمالهم السابقة الذكر فقد قام هؤلاء المفكرين والأدباء بتأليف جمعيات أدبية وعلمية كان لها أثر واضح في النهضة العربية، اذ كونت النواة الأولى للجمعيات والأحزاب السياسية التي انشئت في أواخر القرن 19م وبدايات القرن 20م، ومن تلك الجمعيات نذكر "جمعية الآداب والعلوم" التي أسسها المرسلون الأمريكيون في بيروت بالتعاون مع المعلم بطرس البستاني وناصيف اليازجي عام 1847م[41]، و"الجمعية العلمية السورية" التي أسست عام 1857م و"جمعية بيروت السرية" عام 1875م[42] التي أسسها خمسة شبان أبرزهم الدكتور فارس نمر باشا، وكانوا جميعا مسيحيين من الذين درسوا في الكلية البروتستانتية السورية الأمريكية في بيروت، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز اليهم فاستطاعوا أن يضموا الى جمعيتهم نحو 22 عضوا يتنمون الى مختلف الطوائف الدينية من الذين يمثلون الصفوة المختارة المستنيرة في البلاد، وكان مركز منظمتهم في بيروت كما أنشأوا لها فروعا في دمشق وطرابلس وصيدا[43].

وخلاصة القول أن الإرسالية التبشيرية الأمريكية في بلاد الشام خلال القرن 19م تعتبر من أهم عوامل بروز رواد النهضة الثقافية العربية في بلاد الشام نتيجة الاحتكاك المباشر بها طيلة تواجدها بالمنطقة، اذ عمل البعض منهم كمترجمين ومؤلفين لها وأخرين مدرسين في مدارسها والسماح لهم بالاستعانة بمطابعها لغرض بث أفكارها واهتمامها باللغة العربية وآدابها ساهم الى حد كبير في بروز كوكبة من المفكرين العرب الشوام الذين ذاع صيتهم في ذلك الزمان وارتبط ظهورهم بالنهضة الثقافية العربية في بلاد الشام وخارجها.

الهوامش:

1 – حسين العودات: العرب النصارى عرض تاريخي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1992م، ص ص 163 – 164.

2 – كانت **مالطة** محطة رئيسية للبعثات البروتستانتية الأمريكية حيث وقع عليها اختيارهم للانطلاق في العمل التبشيري نحو بلاد الشام وأسسوا بها مطبعة سنة 1822م خاصة بهم. ينظر: عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: التنصير الأمريكي في بلاد الشام 1834 – 1914م، مكتبة مدبولي، 2005م، ص 73.

3 – جورج انطونيوس: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، تقديم: نبيه أمين فارس، ترجمة: ناصر الدين الاسد واحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط 8، 1987م، ص ص 105 – 107.

4 – عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: مرجع سابق، ص ص 196 – 197.

5 – ماهر محمد سعيد درويش: هجرة الشوام الى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ، اشراف: بهجت صبري، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م، ص 60.

6 – سلوى سعد الغالبي: العلاقات العثمانية الأمريكية 1830- 1918م/ 1246- 1337م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002م، ص ص 263 – 264.

7 – فليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ج1، 1913م ، ص ص 82 – 88.

8 – حسين العودات: مرجع سابق، ص 200.

9 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 84.

10 – جورج انطونيوس: مرجع سابق، ص 111.

11 – علي معطي: تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي، دراسة في العلاقات العربية التركية 1908- 1918م، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط 1، 1992م، ص 23.

12 – **مجلة الطبيب**: ظهرت في جانفي 1878م وهي مجلة شهرية طبية جراحية صيدلية تصدر في بيروت، والغرض من انشائها هو نشر كل ما يهم الأطباء والصيادلة. ينظر: فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 2، ص 60.

13 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 86.

14 – علي معطي: تاريخ لبنان، ص ص 23 –24.

15 – **مدرسة عين ورقة:** انشئت عام 1789م لتربية الأولاد وحفظ الطقوس الدينية المسيحية. ينظر: هاشم بن خاطر عبد الرحمان البركي: الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير تخصص الثقافة الاسلامية، اشراف: عبد الله بن حسن بركات، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ – 2010م، ص 17.

16 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 89.

17 – جورج انطونيوس: مرجع سابق، ص 113.

18 – هاشم بن خاطر عبد الرحمان البركي: مرجع سابق، ص 6.

19 – هاني الهندي: الحركة القومية العربية في القرن العشرين (دراسة سياسية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 2015م، ص 174.

20 – حسين العودات: مرجع سابق، ص 194.

21 – علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798 – 1914 الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع، 223.

22 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 90.

23 – جورج انطونيوس: مرجع سابق، ص 115.

24 – حسين العودات: مرجع سابق، ص 195.

25 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 64.

26 – نفسه، ج 2، ص ص 45 – 47.

27 – نفسه، ج 1، ص 91.

28 – نفسه، ص 96.

29 – جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة وتعليق: شوقي ضيف، دار الهلال، ج 4، ص 235.

30 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 96.

31 – نفسه، ج2، ص 61.

32 – علي معطي: مرجع سابق، ص 23.

33 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 62.

34 – نفسه، ص ص 96 – 98.

35 – فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج 1، ص 148.

36 – نفسه، ص 148.

37 – نفسه، ج 2، ص ص 52 – 56.

38 – عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: مرجع سابق، ص ص 242 – 244.

39 – ماهر محمد سعيد درويش: مرجع سابق، ص 120.

40 – نفسه، ص، ص 20 ، 60.

41 – علي معطي: مرجع سابق، ص ص 24 – 25.

42 – مشعل مفرح ظاهر الشمري: حركة التبشير الروسية الأرثوذكسية في القدس، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 7، أيار، 2012م، ص 171.

43 – مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء 10، سوريا، ص 29.